أصول السيرة النبوية
وتطوراتها في القرنين الأول والثاني

الشيخ محمد هادي اليوسفي

لا شكّ في الأهميّة الكُبرىٰ التي كانت لأقوال النبي صلّىٰ الله عليه وآله وأعماله في حياته، وأكثر منها بعد وفاته.

ومن الطبيعي أنْ تورث هذه الأهميّة عناية بتدوين تفاصيل حياته وجمع الأخبار والأحاديث عنه صلّىٰ الله عليه وآله، وطبيعيٌّ أيضاً أنْ تكون القصص الشعبيّة عن سيرته موجودة في حياته، معتنىً بها ـ كحال الناس في العناية بقصص الأنبياء من قبل ـ و طبيعي أن يكون بعض الصحابة قد تفوّق علىٰ أقرانه في علمه بسيرته ومغازيه.

كتّاب السيرة الأوائل:

إن أوّل من صنّف فيها هو عُروة بن الزبير بن العوّام (ت ٩٢ هـ) وذكر ابن سعد في كتابه «الطبقات» ما يفيد: إنَّ اوّل من تخصّص فيها هو أبان بن عثمان بن عفّان (ت ١٠٥ هـ)، روىٰ بعضها عنه المغيرة بن عبدالرحمٰن. ثم تنبّه إلىٰ جمع أخبارها والتحديث بها وهب بن منبّه اليمني (ت ١١٠ هـ) ثمّ عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠ هـ) الذي يروي عنه ابن اسحاق بعض أخبار سيرته ـ كخبره عن دعاء النبي للإستسقاء في طريق تبوك، وكثرة النفاق ـ ثمّ شرحبيل بن سعد الشامي (ت ١٢٣ هـ) ثمّ عبدالله بن أبي بكر بن حزم القاضي (ت ١٣٥ هـ) الذي طلب منه عمر بن عبد العزيز أنْ يكتب إليه

www.noormags.com

ما عنده من الأحاديث فنشرها بين الناس. ثم موسىٰ بن عُقبة (ت ١٤١ هـ) ثمّ مَعمر بن راشد (ت ١٥٠ هـ) ثمّ محمّد بن إسحاق بن يسار المدني ـ وقيلَ بشار ـ بن خيار من سبي عين تَمْر بالعراق (ت ١٥٣ هـ) ثم راويته زياد بن عبدالملك البَكّائي الكوفي العامري (ت ١٨٣ هـ) ثمّ محمّد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي صاحب كتاب المغازي (ت ٢٠٧ هـ) ثمّ راوية ابن زياد البكّائي عن ابن إسحاق: عبدالملك بن هِشام الحِمْيَري اليمني البصري (ت ٢١٨ هـ).

ولم يصلنا من كُتب هؤلاء شيء سوىٰ سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام عن البكّائي عن ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، اللهُمَّ إلّا روايات في طَيّات أُمّهات المصادر التأريخية فيما بعد.

المؤرّخون الأوائل:

وإلى جانب هؤلاء ظهر مَنْ لم يقتصر علىٰ أخبار سيرة الرسول صلّىٰ الله عليه وآله، بل جمع إليها أخبار الجاهليّة قبل الإسلام، ثمّ أخبار الخُلفاء بعده، أو جمع أخبار بعض الخُلفاء، أو الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام فقط، فكانوا مؤرّخين بالمعنىٰ العامّ. منهم: مُحمَّد بن السائب الكلبي الكوفي النسّابة (ت ١٤٦ هـ) وأبو مخنف لوط بن يحيىٰ الأزدي الكوفي (ت ١٥٧ هـ) وهشام بن محمّد الكلبي الكوفي (ت ٢٠٦ هـ) ونصر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت ٢١٢ هـ) وعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٤ هـ) وأحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) وإبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي الاصبهاني (ت ٢٨٣ هـ) وأبو الفرج علي بن الحسين الأموي الاصبهاني (ت ٢٨٤ هـ) وأحمد بن واضح بن يعقوب البغدادي (ت ٢٩٢ هـ) ومحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) وعلي بن الحسين المسعودي البغدادي (ت ٣٤٦ هـ) ومحمّد بن محمّد بن النُعمان التّلعكبري المفيد (ت ٤١٣ هـ).

www.noormags.com

الأثر الباقي في السيرة:

عرفنا أنّ الكتابة في سيرة رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه وآله كانت قد حصلت في التابعين وتابعي التابعين، كما رأينا قائمة أسمائهم وتواريخ وَفَياتهم، ولكنّها لم تكن كثيرة، بل هي مهما أطلنا الحديث عنها كانت قليلةً جدّاً، لا تعدو أن تكون صُحفاً فيها بعض الأخبار عن سيرة المختار صلّىٰ اللّه عليه وآله.

أمّا الكتاب الذي كُتبت له الموفّقيّة والنجاح وشهرة الإعتماد والوثوق فهو سيرة محمّد بن إسحاق، التي ألّفها في أوائل أيّام العبّاسيّين.

يَروون أنّه دخل يوماً علىٰ المنصور وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتَعرِف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين: فقال: اذهب فصنّف له كتاباً منذ خلق اللّه آدم عليه السلام إلىٰ يومنا هذا. فذهب ابن إسحاق فصنّف له الكتاب وأتاه به فلمّا رآه قال: لقد طوّلته يا ابن إسحاق فاذهب فاختصِره. فاختصَرَه، وأُلقي الكتاب الكبير في خزانة الخليفة.

وفي هذا المعنىٰ رُوي عن ابن عَديّ الرجاليّ المعروف أنّه كان يقول في ابن إسحاق: **«لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلّا أنّه صرف الملوك عن الإشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للإشتغال بمغازي رسول اللّه** صلّىٰ اللّه عليه وآله **ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق، وقد فتّشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما تهيّئ أن يُقطع عليه بالضعف، ورُبّما أخطأ واتُّهم في الشيء كما يخطئ غيره. ولم يتخلّف في الرواية عنه الثقات والأئمة الأثبات، أخرج له مسلم في المبايعات، واستشهد به البخاري في مواضع، وروىٰ له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة».**

ثمّ أصبح ابن إسحاق في الحقيقة عُمدة المؤلفين في السيرة، فما من كاتبٍ في السيرة إلّا وهو مستمدّ منه وراوٍ عنه، اللّهمَّ إلّا ما نأتي عليه من مغازي الواقدي ورواية كاتبه ابن سعد عنه، وما رُوي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك أصبح كتاب ابن

www.noormags.com

إسحاق عُمدة الكتب في السيرة لقرّائها مُنذ أن كتبه إلىٰ يومنا هذا ـ ولا سيَّما بعد تهذيبها من قبل ابن هشام ـ بحيث أنّك لا تكاد تجد رجلاً يدرس سيرة الرسول الكريم إلّا وكتاب ابن إسحاق كتابه الأوّل والأُم في ذلك.

عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحاق:

وقد جاء بعده عبد الملك بن هشام الحميري البصري (ت ٢١٨ هـ) بنصف قَرنٍ تقريباً، فروىٰ سيرة ابن إسحاق برواية زياد بن عبدالملك البكّائي العامري الكوفي (ت ١٨٣ هـ) ولكنّه لم يروها كما هي بل تناولها بكثير من التمرير والإختصار والإضافة والنقد أحيانا، والمعارضة بروايات أُخر لغيره، عبَّر عن أعماله هذه بقوله في صدر سيرته: «**وأنا إن شاء اللّه مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولَد رسولَ اللّه من وُلده، أولادهم لأصلابهم الأوّل فالأوّل من إسماعيل إلىٰ رسول اللّه، وما يعرض من حديثهم ـ وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل للإختصار ـ إلىٰ حديث سيرة رسول اللّه. وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ممّا ليس لرسول اللّه فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء. وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الإختصار، وأشعاراً ذكرها لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به(!) وبعض يسوء بعض الناس ذكره(!) وبعض لم يُقرّ لنا البكّائي بروايته(!) ومُستَقْصٍ ـ إن شاء اللّه تعالىٰ ـ ما سوىٰ ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به**»[1].

إذاً فقد أسقط ابن هشام من عمل ابن إسحاق: تأريخ الأنبياء من آدم إلىٰ إبراهيم، ومن ولد إسماعيل مَن ليس في عمود النسب النبوي الشريف، كما حذف من الأخبار ما يسوء بعض الناس! ومن الشعر ما لم يثبت لديه. ولكنّه زاد فيه ممّا ثبتت لديه من رواية، ولذلك نُسبت السيرة إليه وعُرفت به، حتّىٰ لا يكاد يذكر ابن إسحاق معه، فقد عُرفت

(١) سيرة ابن هشام ١: ٤.

www.noormags.com

سيرة ابن إسحاق بين العلماء منذ عهد بعيد باسم سيرة ابن هشام، لما له فيها من رواية وتهذيب، وبهذا الصدد قال ابن خلّكان في ترجمة ابن هشام: «**وابن هشام هذا هو الذي جمع سيرة رسول اللّه من المغازي والسير لابن إسحاق وهذّبها ولخّصها، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام**».

ولم تنقطع العناية بالتأليف في السيرة إلىٰ يومنا هذا، إلّا أنّ الموضوع في ذاته ليس أمراً يقوم علىٰ التجارب، أو فكرةً يقيمها برهان وينقضها برهان، شأن النظريّات العلميّة التي نرىٰ تجديدها وتغييرها علىٰ مرّ السنين، وإنّما هو من العلوم النقليّة لا العقليّة، فكان المشتغلون به أوّلاً محدِّثين ناقلين، ثم جاء مَن بَعدهم جامعين مبوِّبين ثمّ ناقدين معلِّقين.

ولم يكن قابلاً للتجديد في جوهره، إلّا بمقدارٍ قليل حسب النقد الدقيق، وإنّما كان التجديد في أشكاله وصوره شرحاً أو اختصاراً، أو شيئاً من النقد قليلاً مشيراً إلىٰ ما فيه من أخطاء.

ولعلَّ الذين تناولوا السيرة بالتلخيص والإختصار، إنّما خفّفوا من ثقل الكتاب بعض أخباره التي استبعدوها غير مؤمنين بصحّتها، ناقلين من الأخبار ما يرون فيها القرب من الحقّ، ومستبعدين ما لا يجري في ذلك مع فكرتهم و عقيدتهم مفنِّدين إيّاه رادِّين له.

ولعلّ من عِلل انتشار أخبار ابن إسحاق ثمّ كتابه في السيرة كَثرة رحلاته، فالراجح في تأريخ مولده في المدينة أنّه كان سنة ٨٥ هـ، ولا يرتاب الرجاليّون وأصحاب الطبقات في أنّه أمضىٰ شبابه في المدينة فتىً جميلاً «فارسي الخلقة» جذّاب الوجه له شعرة حسنة، ولذلك حكىٰ ابن النديم بشأنه في فهرسته: أنّه اتّهم بأنّه يجلس في مؤخّر المسجد للصلاة فيُغازل بعض النساء، فأمر أمير المدينة بإحضاره وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس في مؤخّر المسجد. ولعلّه لهذا لم يَرْوِ عنه من أهل المدينة غير راوٍ واحدٍ

www.noormags.com

هو إبراهيم بن سعد فحسب[1].

ولعلّه لهذا رحل منها سنة ١١٥ هـ. أي في الثلاثين من عمره إلىٰ الإسكندرية في مصر، ويُظنّ أنّها أُولىٰ رحلاته، فانفرد بروايته أحاديث عن عدّةٍ من رجال الحديث بها. ثم رحل إلىٰ الكوفة والحيرة، ولعلّه بها التقىٰ بالمنصور فصنّف لابنه المهدي كتاب السيرة كما سبق، فرواها عنه زياد بن عبدالملك البكّائي العامري وغيره، ورحل إلىٰ الجزيرة أي الموصل، والرّي حتّىٰ إذا بُنيت بغداد فرجع إليها وفيها ألقىٰ عصا الترحال، وله من كلّ هذه البلدان رواة كثيرون. وعاش في بغداد حتّىٰ توفّي بها فدُفن في مقابر الخيزران.

وقد كان ابن إسحاق يُعدّ في طبقة تلامذة عبدالملك بن شهاب الزّهري وأقرانه، وله عنه روايات، ونقل أصحاب الطبقات أنّ شيخه ابن شهاب الزهري لم يكن يتّهمه بشيء بل كان يوثّقه، وتبعه في توثيق ابن إسحاق من الفقهاء الأئمة سفيان الثوري وشعبة، بالإضافة إلىٰ رواية زياد بن عبدالملك البكّائي عنه. وإن كان هشام بن عروة بن الزبير من رواة السيرة، ومالك بن أنس من أئمة الفقهاء يتحاملان عليه بالجرح والتضعيف ويتّهمانه بالكذب والدجل والتدليس، والقول بالقدر، والنقل عن غير الثقات، وأخطاء في الأنساب. ولكن لعلّه لأنّ ابن إسحاق كان يطعن في نسب مالك وعلمه ويقول: إيتوني ببعض كتبه حتّىٰ أُبين لكم عيوبه، فأنا بيطار كتبه! إذاً فالحملة متقابلة من الطرفين، والتضعيف ضعيف لأنّه معلوم الوجه والعلّة «الشخصيّة».

مغازي الواقدي:

أمّا الواقدي محمّد بن عمر بن واقد مولىٰ بني سهم، فقد ذكر تلميذه ابن سعد في (الطبقات الكبرىٰ) أنّه ولد في المدينة سنة ١٣٠هـ أي بعد خروج ابن إسحاق منها

(١) وانظر تهذيب التهذيب ٩: ٤٤.

www.noormags.com

بخمسة عشر عاماً، ولذلك لم يَرْوِ عنه وإن كان قد روىٰ عن سائر رواة الأخبار عن الزهري، مع تشابه كبير بين فقرات كتاب السيرة لابن إسحاق وكتاب المغازي للواقدي، ولذلك زعم مستشرقان هُما (فلهوزن وهورفتس) أنّه سرق منه ولم يسنده إليه، وفنّد زعمهما مُستشرقٌ آخر هو (مارسدن جونس) محقّق المغازي كما في مقدّمته للكتاب[1]، ثمّ احتمل أن يكون الواقدي قد أعرض عن الرواية عن ابن إسحاق نظراً إلىٰ عدم توثيق علماء المدينة له.

ثمّ قال: يبدو واضحاً للقارئ الحديث أنّ من أهمّ السِّمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصّة بين أصحاب السير والمغازي تطبيقه المنهج التأريخي العلمي الفنّي، فإنّا نلاحظ عند الواقدي ـ أكثر ممّا نلاحظ عند غيره من المؤرّخين المتقدّمين ـ أنّه كان يرتّب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقةٍ منطقيّة لا تتغيّر، فهو مثلاً يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثمّ يذكر المغازي واحدةً واحدةً مع تأريخ محدّد للغزوة بدقّة، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافيّة عن موقع الغزوة، ثمّ يذكر المغازي التي غزاها النبي بنفسه، وأسماء الذين استخلفهم علىٰ المدينة أثناء غزواته، وأخيراً يذكر شعار المسلمين في القتال، كلّ ذلك بالإضافة إلىٰ وصفه لكلّ غزوة بأسلوبٍ موحّد: فيذكر أوّلاً اسم الغزوة وتأريخها وأميرها.

وكثيراً ما يقدِّم لنا الواقدي قصّة الواقعة بإسناد جامع، أي يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد، وإذا كانت الغزوة قد نزل فيها آيات كثيرة من القرآن الكريم، فإنّ الواقدي يفردها وحدها مع تفسيرها ويضعها في نهاية أخبار الغزوة، وفي المغازي المهمّة يذكر الواقدي أسماء الذين استشهدوا فيها.

وإنّ ما أورده في الكتاب من التفاصيل الجغرافيّة لَيوحي بجهده ومعرفته للدقائق في الأخبار التي جمعها في رحلته إلىٰ شرق الأرض و غربها طلباً للعلم[2]. وقد روىٰ ابن

(١) مغازي الواقدي: ٢٩.

(٢) مقدّمة المحقّق للمغازي: ١ : ٣١.

www.noormags.com

عساكر والخطيب البغدادي وابن سيّد الناس[1] عن الواقدي أنّه قال: ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولىً لهم إلّا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يُخبرك عن مشهده وأين قُتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلىٰ الموضع فأعاينه، و ما عَلِمت غزاة إلّا مضيت إلىٰ الموضع فأعاينه، حتّىٰ لقد مضيت إلىٰ «المريسيع» فنظرت إليها.

ورووا عن هارون الغروي قال: رأيت الواقدي بمكّة ومعه رَكْوَة فقلت: أين تريد؟ قال: أُريد أن أمضي إلىٰ حُنين حتّىٰ أرىٰ الموضع والوقعة.

ويشهد لنباهة الواقدي بهذا الشأن ما قصّه تلميذه وراويته ابن سعد في الطبقات: أنّ هارون الرشيد ويحيىٰ بن خالد البرمكي حين زارا المدينة في حَجّتهما، طلبا من يدلّهما علىٰ المشاهد وقبور الشهداء، فدلّوهما علىٰ الواقدي، فصحبهما في زيارتهما فلم يدع موضعاً من المواضع ولا مشهداً من المشاهد إلّا مرّ بهما عليه. فمنحه هارون الرشيد عشرة آلاف درهم، فصرفها في قضاء ديون كانت قد تراكمت عليه وزوّج بعض ولده وبقي في يسر وسعة[2].

ولكنّه يعود فيقول: إنّه لحقه دين بعد ذلك فذهب إلىٰ العراق سنة ١٨٠هـ[3]. ويفصّل الخطيب عن الواقدي يقول: كانت للناس في يدي مئة ألف درهم أُضارب بها في الحنطة، و تلفت الدراهم، فشخصت إلىٰ العراق فقصدت يحيىٰ بن خالد البرمكي[4]. ويفصّل ابن سعد عنه أيضاً يقول: ثمّ إنّ الدهر أعضّنا، فقالت لي أُمّ عبدالله: يا أبا عبد اللّه ما قعودك وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك وسألك أن تسير إليه حيث استقرّت به الدار. فرحلت من المدينة. ولمّا دخل بغداد وجد الخليفة والبلاط قد انتقلوا إلىٰ الرقّة بالشام فرحل إليهم حتّىٰ لحق بهم[5] فيقول: صار إليّ من السلطان ستمئة ألف دِرْهم ما

(١) تأريخ مدينة دمشق ١١ : ٥، وتأريخ بغداد ٣ : ٦، وعيون الأثر ١ : ١٨.
(٢) انظر الطبقات ٥ : ٣١٥.
(٣) الطبقات ٧ : ٧٧.
(٤) تأريخ بغداد ٣ : ٤.
(٥) الطبقات ٥ : ٣١٥.

www.noormags.com

وجبت عليّ فيها الزكاة[1]، ثمّ رجع معهم إلىٰ بغداد وبقي بها، حتّى قدمها المأمون فجعله قاضياً لعسكر المهدي[2]، وكان العسكر في الجانب الشرقي وكان الواقدي في الجانب الغربي فلمّا انتقل حمل كتبه علىٰ عشرين ومئة وقر[3]، فولّي القضاء مدّة أربع سنوات قبل وفاته، وأوصىٰ إلىٰ المأمون فنفّذ وصيّته وأرسل إليه بأكفانه وقضىٰ دَينه[4].

ذكر ابن سعد ـ وهو تلميذه وكاتبه وراويته ـ يقول: مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدىٰ عشرة ليلة خَلَت من ذي الحجّة سنة سبع ومائتين ودُفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران، وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة[5].

مكانة الواقدي في الرواية والعلم:

وتتجلّىٰ مكانته في الرواية والعلم في وصف كاتبه وتلميذه ابن سعد له يقول: كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح واختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم علىٰ ما أجمعوا عليه، وقد فسّر ذلك في كتب استخرجها ووضعها وحدّث بها[6].

و قال عنه ابن النديم في الفهرست: إنّه كان عنده غلامان يعملان ليلاً ونهاراً في نسخ الكتب، وقد ترك عند وفاته ستمئة قِمَطْر من الكتب يحتاج كلّ منها إلىٰ رجلين لحمله[7].

ونقل الخطيب البغدادي عن عليّ بن المديني: إن ما جمع الواقدي من الأحاديث بلغ عشرين ألف حديث[8]، ونقل ابن سيّد الناس عن يحيىٰ بن معين أنّه قال: أغرب الواقدي علىٰ رسول اللّه في عشرين ألف حديث. ثمّ قال ابن سيّد الناس: وقد روينا عنه من تتبُّعه آثار مواضع الوقائع وسؤاله من ابناء الشهداء والصحابة ومواليهم عن أحوال

(١) تاريخ بغداد: ٣: ٢٠.
(٢) الطبقات ٧: ٧٧.
(٣) تأريخ بغداد ٣: ٥، وعيون الأثر: ١: ١٨، والوافي بالوفيات ٤: ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء ٧: ١١٨.
(٤) الطبقات ٥: ٣١٥، وتأريخ بغداد ٣: ٢٠، وتأريخ دمشق ١١: ٣، والوافي بالوفيات ٤: ٢٣٨.
(٥) الطبقات ٧: ٧٧.
(٦) الطبقات ٥: ١٤٤.
(٧) الفهرست: ١٤٤.
(٨) تأريخ بغداد ٣: ١٣.

www.noormags.com

سلفهم ما يقتضي انفراداً بالروايات وأخباراً لا تدخل تحت الحصر[1]. ونقل الذهبي عن إبراهيم الحربي أنّه كان يقول عنه: إنّه كان أعلم الناس بأمر الإسلام، فأمّا أمر الجاهليّة فلم يعلم منها شيئاً[2]، ثمّ ذكروا له زهاء ثلاثين كتاباً.

ونرىٰ في قائمة كتبه كتاب الطبقات، ولنا أن نتمثّله في كتاب الطبقات الكبرىٰ لتلميذه وكاتبه محمّد بن سعد، فقد نقل عنه كثيراً ولا شكّ أنّه صنّفه علىٰ غرار كتاب شيخه وروىٰ فيه عن غيره أيضاً.

ومن كتبه كتاب الردّة، ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلّىٰ اللّه عليه وآله، ومحاربة الصحابة لطلحة بن خويلد الأسدي ومسيلمة الكذّاب وسجاح في اليمامة والأسود العنسي في اليمن. وقد نقل عنه تلميذه ابن سعد في الطبقات والطبري في تأريخه أخبار الأحداث التي تلت وفاة النبي، وإنّما هو من كتابه في الردّة.

ويمكن القول بأنّ ما نقله ابن سعد، والطبري عنه عن الواقدي من أخبار الجاهليّة فهو من كتاب سمّوه: كتاب التأريخ والمغازي والمبعث، هكذا بتقديم المغازي علىٰ المبعث وتأخير المبعث عن المغازي، الذي عدّوه غير كتاب المغازي. والطبري ينقل المغازي عن الواقدي مباشرة، ولكنّه حين يُورد أخبار الجاهليّة وما قبل الإسلام فإنّه يرويها عن ابن سعد عن الواقدي، ممّا يَدلّ علىٰ أنّه اعتمد في المغازي علىٰ كتاب المغازي للواقدي، وأمّا في أخبار الجاهليّة فهي من كتاب آخر له لعلّه هو التأريخ والمبعث.

ومن كتبه فتوح الشام وفتوح العراق، وقد نقل البلاذري في كتابه «فتوح البلدان» عن الواقدي كثيراً، وهو من تلامذة ابن سعد كاتب الواقدي، فهو قد روىٰ كتاب شيخه له، ورواه البلاذري كما نقل ابن كثير في (البداية والنهاية) كثيراً من حوادث سنة ٦٤ هـ، والطبري نقل عنه كثيراً من حوادث النصف الثاني من القرن الثاني أي التي عاشها

(١) عيون الأثر ١: ٢٠.

(٢) سير الأعلام ٧: ١١٧.

www.noormags.com

الواقدي.

حول تشيّع الواقدي وابن إسحاق:

قال ابن النديم في فهرسته عن الواقدي: كان يتشيّع، حسن المذهب، يلزم التقيّة، وهو الذي روىٰ أن عليّاً كان من معجزات النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله كالعصىٰ لموسىٰ وإحياء الموتىٰ لعيسىٰ بن مريم عليهما السلام، وغير ذلك من الأخبار[1].

ونقل هذا القول عنه السيّد الأمين العاملي صاحب (أعيان الشيعة) وترجم له[2]. وكذلك ذكره آقا بزرك الطهراني في (الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة)[3] عند الحديث عن تأريخ الواقدي. بينما لم يذكره الشيخ الطوسي في فهرسته ولا رجاله ولا ذكر كتاباً من كتبه حتّىٰ مقتل الحسين عليه السلام.

وابن أبي الحديد حينما ينقل فقرة طويلة عن الواقدي ثمّ يورد رواية أُخرىٰ مختلفة عن الأولىٰ يبدؤها بقوله: «وفي رواية الشيعة»[4] ممّا يدلّ علىٰ أنّه لم يعتبره شيعيّاً ولا مُمثّلاً لهم.

ومن الطريف أن يلاحظ أنّ ابن إسحاق أيضاً كان يُتّهم بالتشيّع[5].

ولعلّ السبب في وصفهما بالتشيّع لا يرجع إلىٰ عقيدتهما الشخصيّة، بل إلىٰ ما ورد في كتابيهما من الأخبار التي يعرضانها ممّا تقتضيه طبيعة التأليف في مثل هذه الموضوعات لا عن عقيدةٍ صحيحةٍ بها، وإلىٰ ما أورداه في بعض المواضع من كتابيهما بشأن جماعة من الصحابة منهم بعض الخلفاء فيذكرانهم بعبارات لا تضعهم في الموضع المعتبر لهم عند كثير من المسلمين.

(١) الفهرست: ١٤٤.
(٢) أعيان الشيعة ٤٦: ١٧١.
(٣) الذريعة ٣: ٢٩٣.
(٤) شرح نهج البلاغة ٣: ٣٣٩.
(٥) معجم الأُدباء: ١٨: ٧.

www.noormags.com

ولذلك فإنّ أكثر النقّاد من المحدّثين الأوائل كانوا يضعّفون الواقدي في الحديث.

فقد قال البخاري والرازي والنسائي والدارقطني: إنّه متروك الحديث، ولكنّهم لم يُجمعوا علىٰ ذلك، فقد وصفه الدرآوردي بأنّه: أمير المؤمنين في الحديث.

وقال يزيد بن هارون: الواقدي ثقة.

ووثّقه مصعب الزبيري، ومجاهد بن موسىٰ، والمسيّب وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر الصغاني[1].

وقال إبراهيم الحربي: هو آمن الناس علىٰ أهل الإسلام[2].

وقال ابن النديم: كان عالماً بالمغازي والسِّير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والأخبار[3].

أمّا بالنسبة لابن إسحاق: فقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه (تأريخ بغداد) وكذلك ابن سيّد الناس في كتابه (عيون الأثر) فصلين فنّدا فيهما جميع المطاعن التي وجّهت إليه.

وبالنسبة لتشيّعه وقوله بالقدر قالا ما ملخّصه: أمّا ما رمي به من التدليس والقدر والتشيّع فلا يوجب ردّ روايته، ولا يوقع فيها كبير وهن، أمّا التدليس فمنه القادح وغير القادح، ولا يُحمل ما وقع هنا من مطلق التدليس علىٰ التدليس المُقيّد بالقادح في العدالة، وكذلك القدر والتشيّع لا يقتضيان الردّ إلّا بضميمة أُخرىٰ لم نجدها هنا.

والعجيب أنّك لا تجد شيئاً من هذا التشكيك في عبدالملك بن هشام مهذِّب سيرة ابن إسحاق، فلو كان العيب في هذا الباقي من سيرة ابن إسحاق لشمل الشكّ ابن هشام أيضاً.

وعندئذٍ نطمئنّ إلىٰ أنّ العيب ليس في هذا الباقي بل فيما قال عنه ابن هشام: **«وتاركٌ بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب... أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء**

(١) تهذيب التهذيب ٩: ٣٦٤.
(٢) عيون الأثر: ١: ١٨.
(٣) الفهرست: ١٤٤.

www.noormags.com

بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكّائي بروايته، ومُستقصٍ ما سوىٰ ذلك».

وعندئذٍ تجد محور اتّهام التشيّع أيضاً. وقد رأينا أنّا إذا استثنينا هـذين المتّهمين بالتشيّع لم يبقَ لعامّة المسلمين شيء يُذكر في السيرة ولا المغازي. وعندئذٍ ندرك أيضاً أنّ السابقين الأوّلين إلىٰ تدوين سيرة الرسـول ومغـازيه أي الصـدر الأول مـن تأريخ الإسلام هُم من شيعة أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو المقاربين لهم المتّهمين بهم.

قال الله سبحانه وتعالى:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»

(سورة الصف آية ٨)

www.noormags.com